الاستعارة والكناية

أولا/ الاستعارة: وهي كما عرفنا في موضوع الحقيقة والمجاز نوع من المجاز اللغويّ تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة. وهي في اللغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده، وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به، ومن ذلك يفهم ضمنا أن عملية الاستعارة لا تتمّ إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما.

ويؤكد هذا المعنى ويوضحه قول "ابن الأثير": "الأصل في الاستعارة .. مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة: وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه...".

وأما اصطلاحا فهي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي؛ إذ لابدّ لهذه القرينة أن تفصح عن الغرض، وترشد إلى المقصود، ويمتنع معها إجراء الكلام على حقيقته.

والاستعارة ماهي إلا تشبيها مختصراً، لكنها أبلغ منه، كقولك: "رأيت أسداً في المدرسة"، فأصل هذه الاستعارة (رأيت رجلا شجاعاً كالأسد في المدرسة)، فحذفت المشبه (لفظ رجل) وحذفت الأداة (الكاف) وحذفت وجه التشبيه (الشجاعة) وألحقته بقرينة (المدرسة) لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعا. وقد عرّفها "الجرجاني" بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل". أما "الخطيب القزويني" فقد عرّفها بقوله: "الاستعارة

مجاز علاقته تشبيه معناه بما وضع له، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمى المشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعارا له، واللفظ مستعارا".

– **أركان الاستعارة**: تتكون الاستعارة من ثلاثة أركان هي:

1- **المستعار منه**: وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبه به.

2- **المستعار له**: وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبه.

ويقال لهما طرفي الاستعارة.

3- **المستعار**: وهو الصفة أو الكلمة التي تجمع بين طرفي الاستعارة؛ أي بين المستعار له والمستعار منه، ويقال لها أيضا الجامع، وهو بمنزلة وجه الشبه.

وكل مجاز يبنى على التشبيه يدعى استعارة، وينبغي عدم ذكر وجه الشبه ولا أداة التشبيه، وكذلك أحد طرفي الاستعارة. فمثلا قول الشاعر:

قَد عَضَّهُ اليَأسُ الشَديدُ بِنابِهِ .... في نَفسِهِ وَالجوعُ في الأَحشاءِ

فقد شبه الدّهر هنا بالحيوان المفترس الذي يعضّ فريسته ليأكلها، فاستعار له لفظة الناب؛ فالفعل عضّ لا يكون لليأس، وبذلك يكون مستعارا له، والحيوان المفترس مستعار منه، وعملية العض والافتراس هي المستعار (القرينة)، ولا أداة البتة في الاستعارة.

– **أنواع الاستعارة**: تقسم الاستعارة باعتبار ما يذكر من طرفيها إلى قسمين:

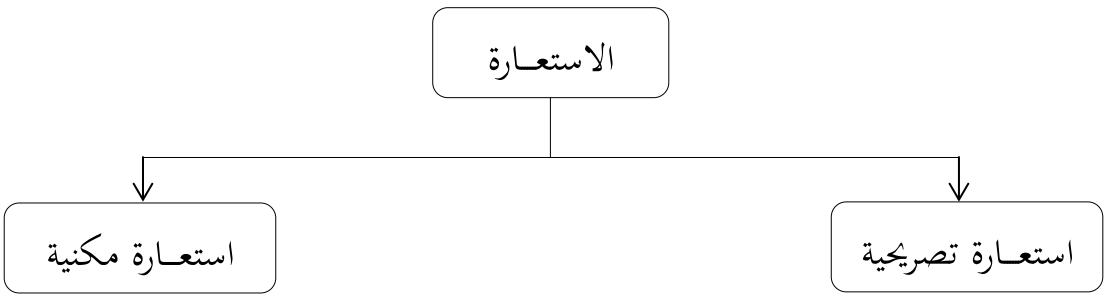

1- الاستعارة التصريحية أو المصرّحة: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به؛ أي ما حُذِف منها المستعار له وذُكِر المستعار منه، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: 01]؛ فقد استعار لفظة الظلمات (المستعار منه) للضلالة (المستعار له)، فصُرّح بالمستعار منه وحذف المستعار له، واستعار النور (المستعار منه) للهداية (المستعار له)، فذُكِر الأول وحُذِف الثاني. ومثل هذا قول الشاعر:

بَكَتْ لُؤْلُؤًا رَطْبًا فَفَاضَتْ مَدَامِعِي ..... عَقِيقًا فَصَارَ الْكُلُّ فِي نَحْرِهَا عِقْدًا

فالشاعر هنا ذكر اللؤلؤ الرطب ويريد الدمع، فصرّح بالمستعار منه وحذف المستعار له، وفعل الشيءَ نفسه حين استعار العقيق لدموعه هو.

2- الاستعارة المكنية أو بالكناية: وهي ما حُذِف فيها المستعار منه (المشبه به) ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وذُكِر المستعار له، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 04]؛ شبه الرأس بالوقود ثمّ حذف المستعار منه أي المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو (اشتعل) على سبيل الاستعارة المكنية، وبقي المستعار له وهو (الرأس) والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.

وهذا هو الأشهر في تقسيم الاستعارة، وهناك تقسيمات أخرى ذكرها البلاغيون لكن نكتفي بأشهر التقسيمات الذي ذكرناه سابقا.

ثانيا/ الكناية: في اللغة أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، ويقال كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، وكنى عن الأمر بغيره كناية إذا تكلم بغيره مما يدل عليه، والكناية إيماء وإيحاء بالشيء دون ذكره صراحة. أما في اصطلاح علماء البيان فهي لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو قولك: "فلان طويل النجاد"؛ تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الاشارة إليها بشيء

تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذا المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصحّ أن يراد المعنى الحقيقي.

ومن هنا فإنّ الفرق بين الكناية والمجاز هو جواز إرادة المعنى الأصلي في الكناية، أما في المجاز فلا يراد المعنى الأصلي.

– **أقسام الكناية**: تقسم الكناية باعتبار المعنى المكنى عنه، وهو المعنى المراد إلى ثلاثة أقسام:

1– كناية عن صفة: هي ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور في الكلام، وهي نوعان:

أ– كناية قريبة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

رَفِيعُ العِمَادِ طَوِيلُ النّجَا ..... دِ سادَ عَشِيرتَه أَمْرَدَا

ب– كناية بعيدة: وهي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: "فلان كثير الرماد" كناية عن الكريم المضياف، والوسائط: هي الانتقال من كثرة الرّماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب، وهو الكريم المضياف.

2– كناية عن موصوف: وهي التي يكون فيها المكنى عنه موصوفا، بحيث يكون إما معنى واحداً كـ "مواطن الأسرار" كناية عن القلب، وقولك: "أبناء النيل" كناية عن المصريين. وإما مجموع معان: كقولك: "جاءني حيٌّ مستوى القامة، عريض الأظفار"، كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به. ويشترط في هذه الكناية أن تكون الصفة أو الصفات مختصة بالموصوف، ولا تتعداه ليحصل الانتقال منها اليه.

3- كناية عن نسبة: وهي التي يكون فيها المعنى المكنى عنه نسبة حاصلة بين الموصوف وصفته الملازمة له إثباتا أو نفيا، ولذلك يذكر الموصوف وتذكر صفته، ثمّ تتم نسبة هذه الصفة إلى ما يلازم صاحبها أو يتم نفيها، كقولك: "الجود في طرفي ثوبه"؛ فأنت ذكرت الموصوف (الهاء في (ثوبه)) وذكرت الصفة وهي (الكرم)، لكنك عدلت على نسبتها إليه مباشرة فنسبتها إلى (طرفي الثوب) وهو ما يلازم صاحبه، وقول "أبي نواس":

فَمَـا جَازه جُـود ولا حَـلّ دُونَـهُ ..... ولكـن يَسِيـرُ الجُـودُ حَيْثُ يَسِيـرُ

فقد نسب الجود إلى شيء متصل بالممدوح، وهو المكان الذي يوجد فيه ذلك الممدوح (يسير الجود حيث يسير)؛ حيث صور لنا الشاعر هنا الجود في صورة حي متحرك يسير لسير الممدوح ويسكن لسكونه.

- بلاغة الكناية: الكناية من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كل بليغ متمرس بفن القول، وما من شك في أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع في النفس من التصريح. وإذا كان للكناية مزية على التصريح فليست تلك المزية في المعنى المكنى عنه، وإنّما هي في إثبات ذلك المعنى للذي ثبت له. فمعنى طول القامة وكثرة الضيوف مثلا لا يتغير بالكناية عنهما بطول النجاد وكثرة رماد القدر، وإنّما يتغير بإثبات شاهده ودليله وما هو علم على وجوده، وذلك لا محالة يكون أثبت من إثبات المعنى بنفسه.

فالمبالغة التي تولدها الكناية وتضفي بها على المعنى حسنا وبهاء هي في الإثبات دون المثبت، أو في إعطاء الحقيقة مصحوبة بدليلها، وعرض القضية وفي طيها برهانها.